

مختصر ابن كثير

123 - وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكرروا فيها وما يمكررون إلا بأنفسهم وما يشعرون .

124 - وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أُوتى رسول الله أعلم حيث يجعل رسالته سبب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكررون .

يقول تعالى : وكما جعلنا في قريتك يا محمد أكابر من المجرمين ورؤسائهم ودعاه إلى الكفر والبعد عن سبيل الله وإلى مخالفتك وعداوك كذلك كانت الرسل من قبلك يبتلون بذلك ثم تكون لهم العاقبة كما قال تعالى : { وكذلك جعلنا لكلنبي عدوا من المجرمين } الآية وقوله تعالى : { أكابر مجرميها ليمكرروا فيها } قال ابن عباس : سلطانا شاراهم فعصوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكناهم بالعذاب . وقال مجاهد وقتادة : { أكابر مجرميها } عظماً لها قلت : وهكذا قوله تعالى : { وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون } قوله تعالى : { وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثارهم مقتدون } والمراد بالمكر هنا دعاؤهم إلى الضلال بزخرف من المقال والفعال كقوله تعالى إخبارا عن قوم نوح : { ومكروا مكرًا كبارًا } وقوله تعالى : { ولو ترى إذ الطالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين } قال سفيان : كل مكر في القرآن فهو عمل وقوله تعالى : { وما يمكررون إلا بأنفسهم وما يشعرون } أي وما يعود وبالمكرهم وإضلاليهم إلا على أنفسهم كما قال تعالى : { وليرحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم } وقال : { ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون } . وقوله تعالى : { وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أُوتى رسول الله } أي إذا جاءتهم آية وبرهان وحجة قاطعة قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أُوتى رسول الله } أي حتى تأتينا الملائكة من الله بالرسالة كما تأتي إلى الرسل كقوله جل وعلا : { وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا } الآية .

وقوله تعالى : { الله أعلم حيث يجعل رسالته } أي هو أعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه كقوله تعالى : { وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القربيتين عظيم ... أهم يقسمون رحمة ربكم } الآية يعنون لو نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مسجل في أعينهم { من القربيتين } أي مكة والطائف وذلك أنهم قبحهم الله كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغيها وحسدا وعنادا واستكبارا كقوله تعالى مخبرا عنه : { وإذا رأك الذين

كفروا إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون } وقال تعالى : { وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً أهذا الذي بعث إِنَّ رَسُولًا } وقال تعالى : { ولقد استهزءوا برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون } هذا وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه وطهارة بيته ومرباه ومنشئه صلى الله عليه وسلم وملائكته والمؤمنون عليه حتى إنهم يسمونه بينهم قبل أن يوحى إليه " الأمين " وقد اعترف بذلك رئيس الكفار (أبو سفيان) حين سأله هرقل ملك الروم : وكيف نسبه فيكم ؟ قال : هو فينا ذو نسب قال : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا . . الحديث بطوله الذي استدل ملك الروم بطهارة صفاتة عليه السلام على صدق نبوته وصحة ما جاء به وقال الإمام أحمد عن وائلة بن الأسعع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله أصطفى من ولد إبراهيم اسماعيل وأصطفى من بنى إسماعيل بنى كنانة وأصطفى من بنى كنانة قريشا وأصطفى من قريش بنى هاشم وأصطفى من بنى هاشم " (رواه مسلم وأحمد) وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بعثت من خير قرون بنى آدم فقرنا حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه " . وقال الإمام أحمد قال العباس : بلغه صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال : " من أنا ؟ " قالوا أنت رسول الله فقال : " أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خير فرقه وخلق القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا وخيركم نفسا " صدق صلوات الله عليه وسلم عليه .

وفي الحديث أيضاً المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال لي جبريل قلب الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد وقلب الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أبٍ أفضل من بنى هاشم " (رواه الحاكم والبيهقي) وقال الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود قال : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه بما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأى المسلمين سيئاً فهو عند الله سيئاً (أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود موقوفاً) .

وأبصر رجل ابن عباس وهو داخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : { إن الله أعلم حيث يجعل رسالته } (أخرجه ابن أبي حاتم) وقوله تعالى : { سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد } الآية هذا وعید شديد من الله وتهديه أكيد لمن تكبر عن اتباع رسليه والانقياد لهم فيما جاءوا به فإنه سيصيبه يوم القيمة بين يدي الله صغار } وهو الذلة الدائمة كما أنهم استكبروا فأعقبهم ذلك ذلا يوم القيمة لما استكبا في الدنيا كقوله تعالى : { إن الذين يستكرون

عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين } أي صاغرين ذليلين حقيرين . وقوله تعالى : { وعذاب شديد بما كانوا يمكرون } لما كان المكر غالبا إنما يكون خفيا وهو التلطف في التحيل والخديعة قوبلوا بالعذاب الشديد من إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَزَاءٌ وَفَاقَا { ولا يظلم ربك أحدا } كما قال تعالى : { يَوْمَ تُبَلَّى السَّرَّائِرُ } أي تظهر المستترات والمكتونات والضمائر وجاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ينسب لكل لواء غادر لواء عند أسته يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان " والحكمة في هذا أنه لما كان الغدر خفيا لا يطلع عليه الناس في يوم القيامة يصير علمًا منشورا على صاحبه بما فعل